

قصص

الرقص فوق الأسطحة



نبيل جديد



(تصميم الفلاف للفنان : حنا الحائك)

الاهداء

- الى : حبيبتى .

نبيل

العقم

أصابعي افاع تزحف فوق جلدها الاملس ، تتحرك صاعدة
هابطة ، ضاغطة اللحم الطري ، وحببتي تتلوى متوقعة سقوطي
فوقها جبلا يحيط بها ، بينما العرق ينز من خلايا الجسدين .

تجمع تعب النهار كله في تلك اللحظة ، فمنذ الصباح وانا
أحفر التراب الاحمر الجاف . العجز يطبق على عنقي . ملأت
وجهي سيول العرق ، بينما غمرت الدهشة تقاطيعها . انها
الليلة العشرون ، ولم أجد بعد طريقا للالتحام بها . بينما يداها
تلتفان حول عنقي ، همست :

— ماذا يحدث لك ؟ .

خبات وجهي في ابعها ، حتى لا تلقي عيني بنظرانها
المتسائلة المتوسلة :

– هل انت مريض ؟

– لم اعد استطيع .

– وكنت مستعدا لذلك في ايام الخطوبة .

– الآن . لم اعد استطيع .

انزلت جانبا ، واجهشت بالبكاء :

– لم اعد استطيع .. لا اعرف لماذا . لماذا ؟

حقا .. لماذا ؟ . انها روعتك التي تقتلني ، وانا غير صالح
للالتحام بهذا الجسد الخمري . عاجز ، مقهور . لا فائدة مني ،
فعلت كل ما تستطيعين ، لكنني صخر اصم . انت خصبة ،
وفي داخلك آلاف البراعم التي تنتظر الماء لتتفتح ، اما انا :
جزع شجرة عجوز منخور ، والارض حوله خضراء واعدة ..
اين الطفل الذي حلمنا به ؟ . من سيحطم أقداح الشاي ؟ . من
سيملأ الغرفة ضوءا وعويلا ؟ . من سيوقظنا ليلا ؟ . توقعنا
ويا لسخافة ما توقعنا : ان يأتي الطفل فاغار منه ، وارفعه
عاليا في الهواء ، ثم تصرخين فزعة ، فأعيده اليك ضاحكا .

– ماذا قال لك الطبيب ؟

كان الطبيب يبتسم ، لعله فكر لحظتها برؤيتك ليروي
غليله . حدثني نفسي بلكمه ، لكنني عدلت . كنت أتكلم ،
وهو يبتسم . ثم قال :

– هناك أمل ضعيف .. لكن العلاج صعب .

– أرجوك يا طبيب انقذني ، اني حائر . سافعل ما تشاء

.. اريد ..

ولا أدري كيف أحسست ان ابتسامته تتسع ، وشعرت
ان ملامحك توضحت في خياله اكثر ، عرف أنك :

شمس لاهبة تحرقني .

ارض صفراء تتوق الى الخضرة .

سفينة تريد ربانا .

عيون تبحث عن شفاه تقبلها .

وعرف انني :

سحابة صيفية كاذبة .

سراب بحيرة ماء في بحر من الرمال الصفراء .

شفاه مشققة .

– عليك باتباع دروس رياضة قاسية منظمة ، وحمية
شديدة مدروسة .

انقلبت فوقي وعريها الناصع البياض يمزق قلبي .
همست :

– ماذا قال الطبيب ؟ .

– قال : هناك أمل ..

ابتسمت ، وقبلتني .. اتمنى ان لا تستمر ، لا اريد
الاخفاق ثانية ، لقد فقدت الثقة برجولتي .

– ارجوك ، انني متوتر وخائف .

– ابتسم .. ما بالك تتراجع ؟ .

كل تجربة جديدة تدفعني عدة خطوات الى الوراء ، انني

اتقهقر بشكل مستمر ، انه الخوف ، العجز ، الجفاف ، ولن
تفيد كل محاولاتك ، ولمساتك ، وقبلاتك . ها هي الليلة (؟ .) ،
كل الزمن الماضي كان ليلة واحدة ، ليلة مدلهمة سوداء ، لانجم ،
لاقمر ، لا مذنب فيها . والآن : تلتمع النجوم في اطراف السماء ،
المظلمة ، بعد الرياضة المنظمة ، والحمية المدروسة ، تلتمع
النجوم ، وتسقط اصابعي افاعي زاحفة فوق جلدها الاملس ،
تتحرك صاعدة هابطة ، ضاغطة اللحم الطري ، وابتسامتها
تفضح فرحها ، أهمس في اذنها :

- الآن .. تتفتح آلاف البراعم .

كان التراب الذي قلبته احمر نديا ، والاعشاب خضراء .
هل تعلمين ما يحدث عندما يصير الفرح عصفورا حرا ؟ . الا
تسمعين اصوات طفلنا ؟ . لا بد انه حطم كأس الشاي ...
اوه .. يا له من مزعج . لماذا تهتمين به كثيرا ؟ . سارميه في
البحر :

- حبيبي .

- حبيبتي .

والشمس تشرق ، بينما صرت واياها جسدا واحدا ...

١٩٧٥

الرقص فوق الاسطحة

« ١ »

تململ احمد في سريره الضيق والذي يشارك به امرأة ذات جسد مكتنز باللحم ، شفتاها فاكهة يحلم بها كل الرجال ، امرأة تزوجها فجأة . . لا يدري متى ولا كيف .

اصفى باهتمام ، فسمع اصوات الطبول واضحة جلية . عجب للامر ، ولم يجد له تفسيراً في هذه الساعة المتأخرة من الليل حتى ولو كان الاحتفال في النهار لما اوجد سبباً معقولاً له . وتذكر احمد الاعراس التي كانت تقام ايام كان صغيراً ، وكم مرة سار من قريته الى قرى مجاورة ليحضر حفلة زفاف أو خطبة ، أما الآن ، فبنات الحي يكبرن ، وتتكور نهودهن وتصبح اجسادهن مطلباً تتراكم نحو الاشجار القوية ،

وكذلك شبابه ، يمتلؤون رجولة ، وتتحول عيونهم الى
مجامر تتقد عند مرور تفاح حارتهم الجميل . ثم فجأة يصبح
لكل شاب امرأة من حيه بلا حفل ولا طبول وبلا مزامير . .
حتى ولو أراد أحدهم القيام بعرس طنان ، لا يتوقف فيه
العزف ليل نهار ، لما استطاع ، لانه لا عازف في الحي ولا
في الاحياء المجاورة . لقد نسي الناس اللحن وضربات الطبول .
اذن من أين هذه الطبول ؟ . ومن هم عازفو الالحن ؟ . لم
يصدق ما سمع في البداية ، وكأنه في حلم . فرك عينيه ،
وأدخل اصبعه في اذنه ليتأكد من سلامتها ، ثم عاد فانصت
كارنب سمع خشخشة لم يتأكد منها أبدا ، ووثق من انها
طرقات طبول حقيقية .

— وضحة . . هه . . يا وضحة .

— همم . . ماذا ؟ .

— قومي ، انصتي ، انني أسمع أصوات طبول .

— ماذا ؟ . أصوات طبول ؟ . نم . نم يا رجل .

— لكنني متأكد يا امرأة .

تزعزحت وضحة ، وانسحبت من تحت اللحاف ، فبدا
نهداها في العتمة كتفاحتين ناضجتين . ثم هزت رأسها
ساخرة بعد لحظة انصات قصيرة .

— هه . . لا اسمع شيئا . . لقد بدأت .

واشارت باصبعها الى صدغها ثم ادارتها دورة كاملة ،
وهي تمط شفيتها ، ومضت لحظة صمت . . ألقت بذراعيها
فوق عنقه ، وراحا في عناق طويل . احس احمد بجسدها
قربه قطعة ملتهبة ، فضمها الى صدره بقوة .

« ٢ »

في الليلة الثانية ، عندما سمع احمد قرع الطبول ، لم يوقظها ، وانما ترك السرير بهدوء ، كانت الاصوات واضحة أكثر من ذي قبل ، وتحرك باتجاه الصوت ، لم ير أحدا . عندما عاد الى المنزل ، كانت تنتظره والدهشة تكسو وجهها . سألته أين ذهب ، فلم يجب ، بقي واجما بالرغم من نداء جسدها الحار الممتلىء انوثة ..

« ٣ »

في الليلة الثالثة ، استيقظ أيضا على أصوات الطبول ، انسحب من تحت اللحاف ، وبقي ساكنا ، لم يتحرك اقتربت الطبول ، ازدادت أصواتها وضوحا . تزحزح في السرير ، فانتفضت تحت اللحاف .. لعلها سمعت . سألتها :

— هل سمعت ؟ .

لم تجبه ، انما تنهدت بعمق ، ثم عادت لتنام .

واستمرت أصوات الطبول في الاقتراب . أصبح العرس في الساحة ، أمام المنزل ، أصوات المتفرجين تعلو . انه عرس حقيقي .

لكن احمد لم ينهض ، واشتدت اصوات ضربات الارجل بايقاع وحشي .. ولم يتحرك احمد . تخيل أشباحا بلا رؤوس ترقص ، ورؤساء ضاحكة بلا اجساد تصرخ فاتحة أفواهها الى اقصى مدى ، ثم تقترب بسرعة ، أصبحت الدبكة فوق سطح منزله ، كاد السقف يتهدم ، ملاً الضجيج أذنيه .. تغفل الطبل والطبال والزممر ونافخ في أذنيه .. احس بصداع شديد . صرخ . وجلست زوجته هلعة كانت حرارته مرتفعة وهو يرتجف كقط غاضب مذعور .

في هذه الليلة بدأت الدبكة على السطح مباشرة . تسلل خارجا على رؤوس أصابعه بعد أن تخلص من ذراعي امراته ، ففتحت عينيها ببطء ، وجلست تنتظر عودته ..

عندما رجع ، كان الانهاك باديا عليه ، والعرق يتساقط من كل ذرة في جسده . قال لها دون ان تسأله :

— كان العرس رائعا ..

استلقت على صدره ، تشم رائحة غريبة جديدة لذيدة .

— كان العرس جميلا . لقد رأيت أبا سعيد فيه ، كان ولده سعيد ايضا هناك ، لكم تمنيت لو حضر صغيرنا حسن معي ، ياليتي سمع أصوات الطبول . لقد قال لي ابو سعيد انهم في كل يوم يرقصون ، ويدبكون ، ويفنون ، حتى الانهاك . يرقصون فوق كل الاسطحة ومع هذا ، فالقلائل هم الذين يستيقظون . وقال اني ساشاركهم الدبكة ، وقال أشياء كثيرة عن اصوات طلقات بعيدة ، لكم اتمنى يا امرأة أن يسمع ولدي الطبول ويرى الدبكة ، أريد أن يتعلم الرقص فيرقص باستمرار .

ضجرت من كلامه فاطبقت شفتيها الرقيقتين على فمه ، داعبته قليلا .. غمغم محاولا التملص منها بلطف .

قالت له :

— ابنك حسن .. بات نومه قلقا .

فتنهذ بارتياح وقال :

— لعل وعسى ..

الفرس

١ - الرجل :

- ما رأيك بهذا القرار ؟.
- أي قرار . اتقصد منع الاحتفالات ؟.
- نعم ، منعا باتا .
- كان حلمه أن يسير ممسكا بيدها حمامة بيضاء ، قاطعا
المسافة الى منزله وسط الزغاريد وقرع الطبول ، وأصوات
لاعبي « السيف والترس » .
- منعا باتا .
- رويدا يا نمر .

اتجه نحو النافذة يراقب الافق ، حيث كانت غيمة حبلى
تنشر اجنحتها في السماء الزرقاء البلورية .

– اقسم اني لن اتزوج الا بحفل رائع .

كانت قطرات المطر تتساقط فوق التربة ، فتنثشر
رائحة منعشة .

٢ – المرأة :

– انفتلت امام المراة بثوبها الابيض ، راسمة على وجهها
ابتسامة عذبة ، وفي رأسها الصغير غرفة فارغة الا من سرير
واحد ، فتسترخي فوقه أرضا عطشى ، بينما حبيبها
سحابة تبشر باراض خضراء .

وفجأة يهطل المطر بغزارة .

٣ – العرس :

جاءته والفرح يسبقها :

– أحمد .

انفتح أمامه المدى متألثا :

– أهلا يا أحلى زوجة .

انداح طوفان السعادة لحظة عن وجهها وعاد سريعا :

– لو كان لنا عرس كهذا .

– لا تحزني يا حبيبتي ، ليكن هذا العرس للجميع .

ونزل الى الساحة يصرخ بقوة وتصميم :

– ليكن عرسنا كلنا .

ارتفعت طرقات الطبل معلنة البدء ، فتحرك اثنان الى
الوسط ، يحمل كل منهما سيفاً وترساً ، ثم انطلق صوت
الزمر حادا يغطي صليل السيوف .

التصقت الاكتاف الى بعضها بعضا ، والتحمت الاذرع
المنتهية باصابع متشابكة بقوة . تحركت الاقدام معا لتضرب
ضربة واحدة بتناسق عجيب . زغردت النسوة بينما نمر
يطل من النافذة ترفرف حوله الاصوات عسافير ملونة .
توترت ضربات الاقدام متوافقة مع طرقات الطبل والعروس
حمامة بيضاء تنتظر الرحيل . دبت الحماسة الى القلوب .
كان النشاط يزداد كلما تقدم الوقت . العرق يسيل على
الجباه ويسقط فوق حبيبات التراب . بلغ العرس اوجه .
عندها : اندفع شرطيان الى الساحة ، فاهتم احدهما بقارع
الطبل ونافخ البوق ، بينما طفق الآخر يختال في المكان مفرقا
اللاعبين والراقصين . ارتعشت الحمامة البيضاء ، واستشاط
نمر غيظا . قفز من مكانه صائحا ، لكن صديقه تشبث
بذراعه :

— مهلك يا نمر .

— والعرس ؟ .

— سنكمله فيما بعد .

وكانت الحمامة آنذاك مذعورة تلوذ بركن الغرفة . . .

١٩٧٤

الموت

الشارع طويل ، على جانبه تصطف الاشجار خضراء
متمايلة برفق .

الشارع طويل ، وفي الوسط كان واياها في السيارة ،
تطفح السعادة من قلبيهما ..

التفت اليها وبوده التهامها بنظراته :

- الى اين يا حبي ؟.

اجابته بصوت رقيق مفناج :

- الى حيث تريد ، ولتكن قيادتك حكيمة .

اقتربت منه ، وامالت رأسها على كتفه بهدوء ، ثم

أغمضت عينيها نصف اغماضة ، وراح يكلمها ، ويميل على
وجهها قليلا ، ثم يسترق النظر الى شفيتها ، ليعود ثانية
يراقب الطريق .

- نتزوج ، وفي غرفة زجاجية متينة ، نقضي الشتاء ،
نرقص عراة مع قطرات المطر المتساقطة على الجدران
البلورية ، وبعدها يأتي الصيف ، يتكور بطنك قليلا، وتشعرين
بألم خفيف ينتابك بين الحين والآخر ، ثم يتحرك في احشائك ،
تمسكين يدي وتضعينها على مكانه ، نصمت ونهدأ بخشوع ،
ويتحرك ، فاصرخ فرحا ، اقبلك ، أحاول رفعك ، تصرخين
متألمة ، فاضعك برفق فوق الفراش، وأنام في شعرك الاشقر .
وفي الربيع ، يكون أبيض الوجه ، أسود العينين ، ضاحكا ،
باكيا ، نشيطا ، هادئا .

أريده طبيبا ..

- لا .. سوف أجعله مهندسا ..

- لن اوافق ، سوف اغريه بالطب ، ثم له أن يختار .

- لماذا لا نتفق على ان يكون شاعرا ؟ .

- وهل باستطاعتنا زرع الحب في قلبه ؟ .

- كيف يكره من لا يعرف الكراهية ؟ .

- لم افهم ؟ .

- سنكون دوما معه .. ونحن متحابان . أليس

كذلك ؟ .

وفي تلك اللحظة ، ومن اول منعطف ، اندفع طفل صغير ،
يركض وراء كرة مطاطية . صرخت : انتبه .. انحرفت
السيارة عن الطريق ، واجتاحت الرصيف ، برز لهما عمود

كهربائي حديدي ، حاول الشاب تفادي الاصطدام ، لكن ..
امسك الطفل بالكرة ... ووقف تمثالا اصفر اللون ، بينما
كانت الدهشة سحابة تعبر وجهه ..

نقلا الى المستشفى ..

والطفل دهشة جامعة ..

ماتا ..

والكرة المطاطية بين يديه ...

١٩٧٥

بالمقابل

كان شاحبا ووسيفا ، اصفر الوجه ، ذابل العينين .
ه .. على قطرات من الماء المثلج ، تطفئ الحريق
في داخلي) ..
كانت سمراء وجميلة ، لمسات المكياج قتلت الشحوب
في وجنتيها .
(الحرارة مرتفعة .. مريح هو الحمام البارد الآن ،
يا ليت الامطار تتساقط ..)
الشارع مقفر الا منهما ، رآها .. ولم يكن يعرفها .
(لو تلتصق بي ، وتشابك اصابعنا ، أتكلم وتتكلم ،

نذهب الى المقهى ، نشرب العصير ، أقبلها بصمت ، ثم نروح
الى السينما ، وفي العتمة ...) .

راته ،

(كم أتمنى لو يطير الي ، يحدثني عن الحب والشوق ،
والهيام ، أسير واياه الى كل مكان ، نذهب الى البحر ،
ونتحول الى طفلين ، نلعب ساعات ، ثم نستلقي على
الشاطيء ، نكبر فجأة ، فينقض فوق نهدي يمزقهما ..
والحريق يخبو) ..

تقلصت المسافة بينهما .

(كأنها تبسم .. ان نظراتها جريئة . لن اراجع عن
النظر مهما فعلت) ..

(انه يبتسم ، لن اضعف ، ولن اخاف من نظراته) .

اطرقا معا .. تجاوزا بعضهما ..

(يا له من جبان .. لا .. انا الجبانه ، لماذا لم ابتسم ،
واشعل الضوء الاخضر) ؟ .

استدار الى الخلف يتفحص قفاها ..

(مؤخرتها جميلة .. لماذا لا تنظر الي الآن ؟ . انهن
كذلك ضعيفات خائفات ..)

(هل انظر اليه ؟ . لعله ذهب ، فماذا استفيد ؟ .) .

ارتمت فوق السرير .

دخل المرحاض ..

وبالرغم من الحرارة تدثرت بالغطاء ..

امتدت يده الى وسطه ..

(ها هي قادمة عارية ، صارخة ، ووراءها عدة رجال
يحاولون اغتصابها ، تطلب النجدة ، فانقض فوق الذئاب
افرقهم ، واقتل بعضهم ، ثم اذهب اليها ، فتضميني الى
صدرها ، ولما اقبلها . تستسـ . . .)

بدأ سريرها يهتز اهزازات متواترة بانتظام .

(ها هو يقفز من النافذة ، مقتحما الغرفة ، عاريا ،
صدره غابة مظلمة ، يطبق علي بجسمه ، اتظاهر بالصراخ ،
فيفلق فمي بشفتيه . . و . .)

تخور قواه ..

تنام ..

١٩٧٥

الفرح والفضب

الشمس ماسة حمراء ، مثبتة في الافق الشرقي ،
تسكب اشعتها فوق اوراق الزهور فتلمع قطرات الندى ،
موحية لقلبي بالانطلاق في الفضاء ، ووجه حبيبتى قمر
يرتشف القهوة بهدوء مثير . أحببت القهوة بشكل غريب
لان ناهد تصنعها بيديها ، ولانها سوداء كعينيتها . قلبي يجد
في صدري ملعبا واسعا ، فيأخذ بالقفز من زاوية الى اخرى ،
مغتبطا بهذا الصباح الرائع .. قالت ناهد :

— هل تعرف لماذا أحب عينيك الزرقاوين ؟.

قلت :

— لا .. لماذا ؟.

قالت :

– لانني أعشق السحر والجمال ..

تضحكنا . ملت الى الامام وخطفت قبلة من رقبتها،
وسرقت هي قبلة من عيني ، والشمس ماسة حمراء ، ووجه
« نهودتي » قمر يرقب السهول الواسعة . كانت الاشجار
تتراقص ، وتميل نحونا لتضم بين أحضانها عاشقين يحبان
كل شيء .

فاجأتني :

– ما هو تعريف اللون الازرق ؟.

قلت :

– لون الحرية ..

هزت رأسها وزمت شفيتها .. قلت :

– ألا تكفين عن أسئلتك ؟.

قالت :

– ما هو تعريف اللون الازرق ؟.

قلت :

– لون السماء ..

ضحكنا .. قالت :

– لا ..

قلت :

– انني استسلم لعبقريتك .

صححت جلستها ثم حدقت في عيني الزرقاوين وقالت :
- انه لون سعادتي .

ضحكت هي ، وضحكت أنا ، ثم ضحكنا سوية . قلت :
- عشك في قلبي يكبر .

قالت :

- الا عشك . اعشائس كل العصافير في قلبي تصغر .
قلت :

- يا للشاعرية .

خفتت ضحكاتنا الى ابتسامات . قالت :

- انظر . هذا الشاب ما اجمله ؟.

تصلبت ابتسامتي . تحولت الى وجوم . قالت :

- ما بك ؟.

قلت :

-

قالت :

- لم اقل شيئاً سوى انه جميل .

قلت :

-

قالت :

- غبي .. متخلف ..

تصلبت تقاطيعي ، والشمس قطرة دم لزجة مثبتة في
الافق الشرقي ، تسكب أشعتها فوق الزهور فتبدو قطرات
الندى كدموع حزينة ، ووجه حبيبتى مصباح معلق في سقف
الغرفة يؤلم عيني . ضاق صدري ، فجلس قلبي في زاوية
ينتحب .

قالت :

- غبي .. متخلف ..

والشمس قطر دم ووجه ناهد مليء بالتجاعيد ، تهاجم
عينيها بقع سوداء ، بينما الأشجار تحاول جاهدة الابتعاد عن
حواف الطريق الذي نسير فيه ...

١٩٧٤

اسطورة

أدى الحاج احمد صلاة الفجر ، ثم ايقظ ابنته سلمى بينما كان النهار طفلا يحبو ، وتوجه الى شرفة منزله المظلة على حديقته المملأى بالزهور الملونة ذات الروائح العبقة . جلس على الكرسي وراقب بعينين ناعستين الزهور البيضاء والحمراء وهي تتمايل مع نسيمات الصباح . تمتم ذاكرا الله . استمع الى زقزقة العصافير المعششة في شجرة الصنوبر العالية وفرح لمشاهدة عصفورين ملونين على أرض الحديقة .

جاءت سلمى بقامتها الطويلة وقدمت القهوة لوالدها ، ثم تراجعت خطوة الى الوراء منتظرة أمرا آخر . حدق الحاج بابنته وابتسم متذكرا : ان جارهم ابو سليم طلب يدها لولده ، فاسترجع الحاج أحمد صورة الشاب في ذاكرته :

– طويل القامة ، قوي البنية ، ووالده غني ، ثم أن
مقامه رفيع .

هز رأسه وقال في نفسه :

– سيكون زوجا صالحا ..

وقرر انه سيعلم لابي سليم موافقته .

كانت سلمى تحلم بالعودة الى الفراش لتضم المخدة
وتشدها فوق نهديتها ، بينما عيناها مركزتان على العصفورين
الملونين في أرض الحديقة . نقر كل منهما التراب نقرتين
صغيرتين . قفزا باتجاه بعضيهما . امتد منقار احدهما الى
منقار الآخر ، وامسك به يشده نحوه ، عندها اقترب عملاق
ضخم الجثة من سلمى ، ومد يده الثقيلة الى جسدها النحيل
معتصرا لحمها . تأوهت ألما ولذة ، وزحفت يدها الى فخذها
تتحسس جسمها .

سمع الحاج احمد صوت ابنته وراها في حالة نشوة
ظاهرة فزعق :

– اذهبي يا بنت ..

بينما قبضت يده على فنجان القهوة ، وقذف العصفورين
قفز أحدهما مبتعدا ، وسقط الآخر يتخبط بدمائه فوق
التربة الحمراء ...

١٩٧٤

برعم

قفز علي من النافذة ليلا والقمر يلقي بنوره الباهت على
الاشياء ، واقترب بمحاذاة الجدار الى ركن باحة الدار ،
حيث التقى بشبح اسود . كان قلبه يخفق فاستند الى
الحائط ، لتهدأ ضربات القلب المستمرة . نظر الى الملاءة وود
لو تحترق تلك الملابس السوداء ، وينتقل مع صاحبها الى
أراض بعيدة وسهول شاسعة بكر لا يسكنها رجال ، ولا تطأها
أقدام الغرباء ، تنهد قليلا ثم نظر الى القمر وقال :

- جميلة .. هل وجهك حلو كوجه القمر ؟ .

سمع ضحكة خافتة ، فالتفت اليها .. لاحظ يديها
تمتدان الى الحجاب فترفعه ببطء وتسندة على رأسها ،
فأشرقت الشمس وتحول حالا الى عصفور صغير ، ينتقل

بين اشجار مرصوفة حول نهر طويل كبير هادىء ، ثم اصابه
الخوف فجأة .. فسقط عن الشجرة ، وقال :

– هل ؟ ..

وأجابه لحن موسيقي لذيذ ناعم :

– ماذا تريد ؟ .

ثم اكتسى وجهها بلون خمري :

– أيها .. الغريب .

اقرب منها خطوة .. فابتعدت للوراء خائفة وجلة ..
وتحولت الدنيا الى كرة من الشوك الناعم الذي ينفرز في
الجسد .. خطف قبلة من شفيتها ، كان مذاقها حلوا كأنه
امتص حبات عنقود عنب ورأى الاشجار تهتز ، وامواج
البحر في مدينته تصطدم بالصخور وتنسحب على الرمال
الصفراء بهدوء مثير ، سمع شهقتها وهي تقفز عائدة لتلج
باب منزلها ضاحكة بخفوت ، بينما كان يشعر بنظرات اهلها
تراقبه من النافذة ، فرأى والدها واخاها مقبلين يحملان
خنجرين حادين ، فتمزق قلبه في لحظة وتحول الى قطعة
زجاجية هشة . طعنته الخناجر بصمت وقوة ووحشية
وتجمع اهل الدار والدور المجاورة ، كان كل منهم يحمل
سلاحا .. عصا أو خنجرا أو مسدسا ..

ضعفت قوته فانهار على الارض مستندا بظهره على
الجدار البارد . ثم تحامل على نفسه وترك الدار شاردا
في الازقة ، واتجه نحو العاصي ، لعل رطوبته تنعش نفسه
العطشى ، وجسده المتعب تحسس شفيتها وكأنه يلمس
شفيتها الحريريتين . لعن الساعة التي عين فيها مدرسا في
هذه القرية نظر الى النهر المضطرب الصاخب ، دفعته الرياح

باتجاه المياه الصارخة ، وفتح النهر فمه على آخره كأنه يريد
التهام جسدا حيا . كاد يسقط في النهر ، وشعر فجأة
بخشونة ملمس شعر الدببة التي أحاطت به من كل الجهات
وبدأت تتقاذفه بينها بالتتالي ، وكان ما ان يخرج من فجوة
حتى يسقط في فجوة اخرى ، الى ان جاءه ذات صباح خالد
صديقه وشقيق جميلة . . جاء ووجهه غاضب ، وقسماته
جادة ، كأن الابتسامة ضاعت عن هذه الملامح الصارمة .

وقف في باب الغرفة متحفزا لمعركة تأمل عليها بعينين
حانقتين ثم قال :

— عليك ان تخلي الغرفة اليوم .

تحلق حول علي مجموعة من الرجال المشوهي الملامح
وهم يضحكون ساخرين ويمدون اصابعهم نحوه ، امتدت
يد أحدهم اليه ناهرة اياه :

— يجب ان تترك الغرفة .

— لماذا ؟ . خير ان شاء الله ؟ . .

بقيت العين جامدة ، والنظرات حانقة ، والغضب شديدا
وتحول الرجال الى اقزام صغيرة ، ثم تطاولت قاماتهم فجأة
وملأت الغرفة ، فلم يتسن لعلي التفكير ، وشعر بضيق
في أنفاسه ، وان حرارة الغرفة لا تطاق . . فتكلم في رقة
وحزن شديدين .

— لماذا يا خالد ؟ .

— أخبرني والدي لابلغك . . وعليك الذهاب . . انت
أدرى بما فعلت .

— لم افعل شيئا .

- قال انه لاحظك تنظر باتجاه جميلة وانك عندما تمر
في الباحة تبقى مرفوع الرأس ، ولا تخشى ان تصطدم
عينك باحداهن .

- لكن ...

وخرج خالد ، فتبعه الاقزام ، وتبعته الضجة والصراخ .

عندها تهالك على الكرسي ، وهو يحلم بغرفة في منزل
مهجور ، لم تسكنه من قبل فتاة لها قلب محظور عليه الخفقان
ووجه ممنوع من رؤية الشمس .

١٩٧٣

قصة حب

اعجاب . معجب بك فقط . هكذا بدأت الامور :
تضحكين ، وانظر اليك . اضحك فتراقبينني . ثم نضحك
سوية . تتكلمين واستمع باعجاب ، ثم أتكلم ، ونتكلم معا .

وكما قلت لك لم اكن اتوقع ان الامور ستسير بهذه
السرعة الهائلة . كنت افكر (وهي خطتي الاولى) سارى
فارسة الاحلام - اعجب بها على الاقل عدة شهور - ثم
احبها . حبا من طرفي لشهور اخرى ، ثم اصارحها بحبي ،
ثم نحب بعضنا عاما ، ثم اخطبها . . ثم - لم اكن اتوقع ان
جمالا عاصفا سيسحقني ، وان الامور ستسير كما يلي
(وهو ما حدث فعلا) :

اعجبت لايام معدودات - ثم احببتها بسرعة هائلة - ثم

اعترفت بحبي ببساطة عجيبة ، فالحب لم يعد الجريمة التي يود صاحبها الاعتراف بها ، لقد ساعدتني انت على الاعتراف وكنت بذلك ذكية ، مخلصه ورائعة ، ثم ، تقف المادة حجر عثرة ، فتؤجل الخطبة للعام القادم .



في مرحلة الاعجاب ، ادعوك الى السينما . تتمنعين قليلا . تتمنعين بلطف رائع ، بجمال رائع ، بضحكة رائعة ، ونذهب الى السينما . عيناى عليك . في وجهك الناعم . في شفتيك اللتين تختلجان كطائر ذبيح . عيناى في عينيك ، وعيناك على الشاشة . ابتسامة . جمال ، ويبدأ الفيلم .

فأقول لصديقتك :

– افهمي الفيلم وحدثينا عنه في النهاية .

نضحك وتبدأ أحاديثنا ، وما هي الا لحظات حتى يهرب المتفرجون من حولنا ، ونضحك . ينتهي الفيلم ، كأننا لم نحضره . كان عالمنا ، عالما آخر ، ودنيانا ، دنيا اخرى ، كنا غير موجودين ، وموجودين في آن واحد ، وذلك كله قبل الاعتراف . سرنا في الشوارع . اختبأنا من أنوار السيارات . سرنا في الاماكن المظلمة . تحدثنا بغموض لذيذ .

سألتك : – ألم تعشقي ؟ .

قلت لي :

– أحببت شخصا واحدا ولم اجرؤ على الاعتراف ، ولم يعترف فما هو السبب ؟ .

قلت لك :

– قد يكون خجولا .

قلت لي :

– أنت خجول اذن .

وخيم الصمت . كنت تودين دفعي الى الكلام الجاد ،
وكنت اتهرب من الحقيقة . أحاول كسب الوقت ليبقى
برنامجي الموضوع في ذهني صحيحا ، ولكي يبقى الحب
الصامت عاما تقريبا ، لكن حبي ابي الصمت ، وانت أبيت
الانتظار .

أنت : – أشعر بصدري يزداد اتساعا .

أنا : – ألا ترين ما أكبر حجمي ؟ .

أنت : – خفف من ملابسك حتى تستطيع التنفس .

واصمت . تتابعين : – انت غامض . انك ذكي لكنك
تفابي .

وفي الحقيقة كنت احاول كسب الوقت ، ثم حدث كل
شيء بسرعة هائلة ، وتهاوت خطتي الاولى ، لتحل محلها
الخطة الثانية .

ارتطمت يدانا . تهامستا قليلا ، وابتعدتا بسرعة . كنت
لا ألمس يدك خوفا ، وكنت لا تلمسين اصابعي خجلا .

ارتطمت يدانا . تهامستا كثيرا ، ثم امتدت اصابعي .
تلاقت الاصابع . تعانقت الاصابع . تلوث الاصابع ، وصرت
لحظتها عصفورا حرا أطيروا في السماء . أحلق ، لكن . الى
أين ؟ . لست أدري . المهم أصابعك بين أصابعي تتلوى .
التصق كتفانا ، وصرخت في أعماقي :

« ليذهب الناس الى جهنم » .

وبقيت اصابعنا متعانقة ، والمستقبل – من خلال كلماتنا –

يتضح ، وتبدو معامله جيدا ، ثم افترقنا على امل اللقاء ،
لاستغلال اجازتي التي لا تتعدى الايام ، والتقيننا ، وكان
اللقاء الثاني اروع واجمل ، وكان كل شيء واضحا .

في المرة الثانية جلسنا في « الموعد » . تبعتك على الطريق
الاحقك كعاشق صغير « والطش » عليك وتضحكين « حلوة
وقمورة . اخذت عقلي هالشطورة » ثم أغزو وجهك الفرح
بنظراتي . أغزو عينيك وشفتيك . وجنتيك . انفك الناعم .
ذقنك اللطيفة ، واسنانك « الفرق » ورقبتك . . . و . . .
كلك قطعة مرمرية . كلك قطعة ذهبية . تمثال لآلهة الجمال .
تمثال يوناني ، وفي الموعد : كل الحاضرين يرمقوننا بنظراتهم ،
معجبون بعاشقين جريئين في جلسة جريئة ، واصرخ في
أعمالي : « الى الجحيم » .

يقرب وجهانا وكلي انتفض توقعا . جبهتي فوق جبهتك
يقرب انفانا وقلبي يقفز ، ثم يمر احدهم ، فنبتعد فجأة .
أود لو اسرق قبلة . هل تعرفين ان السرقة شيء جميل ؟ .
عندما كنت صغيرا كان كيلو المشمش او حب الآس يقدر
بقروش قليلة وكنت أملك تلك القرش ، لكنني كنت أفضل
ورفاقي التسلل الى حديقة مدرسة البنات لسرقة المشمش
وحب الآس ، والبنات في صفوفهن يحدقن بنا من النوافذ
ويحذرنا عندما يأتي الحارس ، لانهن كن محرومات منها .
وعندما كبرت تسللت الى حديقة دار المعلمات وسرقت وردة
رائعة . سرقتها دون ان يراني أحد ، ولن أخبيء هذه الوردة
سوف اعلقها على صدري واسير واصرخ في كل الوجوه :

— انظروا . انني احبها . .

سرقتك يا ناهد من حديقة دار المعلمات وكنت وردة
جورية ناضجة . قطفتك بسرعة وهربت بسرعة ، ولثمتك

بسرعة ، وانا لا اكاد اصدق ان علاقتنا لم تعمر بعد سوى
أيام . انها تبدو قديمة ، وهي قديمة حقا . قديمة ومتجددة
بشكل مستمر . كنت أحلم بك قبل ان اعرفك ، ثم عرفتك
ثم سرقت قبلة من شفتيك . هل تدرين انني يومها لم استطيع
النوم . لقد احسست بتيار كهربائي يمر في جسدي ، عندما
لثمت خدك ، وبقيت صورة الوداع في خيالي .

في يوم الوداع قلت لك : أود لو آكلك .

– كلني ...

– من اين ابدأ . من اصابعك . من يدك . من كتفك .
من شفتيك ؟ ..

– من حيث تريد .

– آه .. لو لم تكن « محضورة » .

كل خطوة معك مرعبة ولذيذة . مرعبة : لانني اخاف ان
يراك اهلك . مرعبة : خوفا عليك . ولذيذة : لانني استطيع
ان اقول للناس : انها لي . انها لي .

هل تسمعين بافلام المخرج هيتشكوك (انه ملك الرعب
في العالم) ، لكن خوفي عليك منهم اكثر رعبا .

نهودتي : هل حقا انا بحاجة لاقول لك : احبك حتى
أبرهن على حبي لك ؟ . لا . لا اعتقد ذلك . على كل أنا لا
احبك ، ولا اعشقتك ، وغير معجب بك ، ولا ولهان ولا هيمان
ان شعوري نحوك لم يستطيع شاعر او عاشق ان يتوصل
اليه ، لذا فهو غير معروف ، فهل لك يا .. ان تساعدني
على ايجاد الكلمة المناسبة حتى اضعها بعد يا ...

نهودتي الى اللقاء .

١٩٧٣/٦/٢٣

يذهب كل الى عمله ، وانتهي بسرعة ، فاجد نفسي
وحيدا في لجة الخوف والظلمة ، وأراك عبر المسافات بشكل
ضبابي ، تظهرين لي شبعا يتحرك ببطء في الفراغ . أراك
ملاكا بجناحين ، تتقدمين نحوي واشخص اليك ، تقتربين
مني وتبتعدين عني . تحومين حولي . أحاول امساكك
فتقبض يدي على الفراغ . أصرخ مغنيا مع المطرب الشعبي :

حيني ولا تقولي لأ غيرك قلبي ما نقا

وقلبي بدأ يؤلمني : لقد انتفأك من بين كل الفتيات .
لقد خلع حبك قلبي من مكانه . لقد اعجزت عطورك وورودك
قلبي ، واكثرت فيه الجراح ، لكنه لم يحقد عليك بل
بالعكس : طفح بحبك كما يطفح البحر بمائه ، وملأت علي
لحظات النوم ، فطار النوم من عيني ، وكيف انام وانا قد
قفزت الى نار الحب فحرقطني تلك النيران . ماذا سينقذني؟
.. هه ؟

ويبقى رسمك امامي ، أتأملك بهدوء - يحاولون خطفه
من يدي لكنهم لا يفلحون - شعرك اسود فاحم أخجل الليل
فهرب امامه . صدرك : حديقة فواحة مليئة بالتفاح والازهار
واغوص في الذكريات ، يسألني احمد وسليمان وأيس :

- هه . أين أنت ؟

ابتسم واعدود اليهم لثوان ، ثم اتركهم هاربا اليك .
الى مخيلتي معك . اغار من ملابسك . اغار من احمر الشفاه
على شفتيك . اغار من تلك القطعة التي تعلقينها على صدرك
تسبح وتلهو كما تشاء . ليتني كنت واحدة مثلها . ليتني
اكون هي . لكن « يا ريت عمرها ما كانت تعمر بيت » .

نهودتي : هل تعرفين ان نظرتك تذبحني . ومع هذا

أتمنى ان تبقى نظراتك فوقى لابقى : اذبح ، واذبح ، واذبح ،
عريقة في الاجرام انت يا ناهد . لقد قتلتني .

أنا مشتاق للذبح لذا ساحضر اجازة في وقت قريب ، مع
ان رائحة لهيب المعارك تحوم حولنا ، لكن المعنويات مرتفعة ،
لا تخافي علي فساكون عند حسن ظن جميع من يعرفني .
نجاحاتي الان مستمرة ، فحبي بدأ يدفعني الى الامام .
رؤسائي يثنون على نشاطي ، ومعاملتهم اكثر من اخوية حتى
انني متأكد بانني استطيع الحضور اليك متى شئت ، لكنني
سانهي هنا بعض الاعمال الضرورية لجاهزيتي واحضر .

زملائي هنا يهدونك السلام . احمد يحاول قراءة رسائلك
ولو بالقوة ، فنحن في مهجع واحد يعرف واحدنا الاخر كما
يعرف نفسه .

أحمد : بكلماته السريعة المتتورة وصوته المرتفع ، وحركته
الدائمة ، وانيس : الهادىء المطمئن المتسم والقوى الارادة .
تصوري انه لم يذهب اجازة منذ اكثر من ثلاثة اشهر . اما
سليمان فبالرغم من لطافته نستطيع ان نسميه انطوائيا ،
تنتابه نوبات غضب على الحياة والمجتمع . لقد احبوك
وصارت رسائلك صديقا خاصا لنا ، فلا تحرمينا من
هذا الصديق .

١٩٧٣/٧/١٣

كلما هب النسيم الشمالي اتنشقه ملء صدري ، فاشم
رائحتك معه ، محمولة انت على الريح الشمالية فاستقبلك
أنا في بلادي مرحبا ، لعلك ترين الجو الخانق الذي نعيش
فيه . ستعجبين من الحرارة ، وكيف لا نحترق . ستعجبين
من الضجيج وكيف لا تصم الآذان . ستعجبين من الغبار

وكيف لا تعمى العيون من الغبار المتراكم . وعلى ذكر العيون ،
سأل احدهم احداهن :

هو : - هل تعرفين لماذا احب عينيك ؟ .

هي : - لماذا ؟ .

هو : - لانهما لك .

اذكر تلك الكلمات وتنهال فوقها صور متتالية من
لقاءاتنا . ذكريات حلوة . حلوة . حلوة ورائعة ، فاشرد
معك ، اطوف واياك العالم فابتسم فرحا ، بينما ابتسم لك
(يكون احمد يحدثني حول موضوع لا يدعو الى الضحك) .
ينظر الي مستغربا فيراني مستغرقا في الابتسام ، وعيناي
تنظران الى اللامحدود . يمسكني من شعري ويهزني .
يؤلمني شعري ، فاتذكر كيف سرقت شعرة من رأسك
(هل تعرفين انني لا زلت محتفظا بها ؟) وأفكر بالشعرة
بينما يد صديقي على شعري تهز رأسي . يصرخ : هه .
ما بك ؟ .

- عفوا . كنت شاردا .

وسموني الشارد . ويقولون : جاء الشارد ، ذهب
الشارد . الشارد مناوب . الشارد سيذهب اجازة . الشارد
شارد . نه و د ت ي اح ب ك اح ك ب ان وتختلط الحروف
كلها ، فأشرد في تركيب الحروف ، واليك ما حدث معي من
شرودي :

افتتحت دورة لتعليم الاميين وعينت مدرسا لهم ، وبينما
كنت أهجي لهم في الكتاب كلمة « زينب » وكانت الفتاة تسمى
كذلك ، قلت : ان كلمة زينب تتكون من الحروف الاربعة
التالية : ن ا ه د ، وأعدتها عليهم . نظروا الي باستغراب
وقال احدهم :

– حضرة الرقيب . ما علاقة هذه الحروف بتلك الكلمة ؟
انتبهت فجأة ، فضحكت قائلا : – كنت احاول فحص
ذكاءكم .

أنيس يقول لك : شكرا يا ناهد لانك حولت حبيبك الى
مفكر شارد مثلي ، وكسبت واحدا الى صفى .

١٩٧٣/٨/١٥

نهودتي : وصلت من اجازتي القصيرة جدا واستقبلتني
الشلة هنا بالرقص والغناء ، كأنه قد مضى علي سنوات لم
أرهم خلالها . فتشوا محفظتي ، وخطفوا الزهرة المهداة منك
الي . احتفظوا بها في زجاجة ماء ، وانهالت علي الاسئلة :
« كيفها » ؟ « ماذا حدث ؟ » أخبرنا عنها . صحتها .
دراستها . كيف استقبلتك . أين ذهبت واياها ؟؟

كان أحمد أكثرهم حركة . اصلح فراشي وأجلسني
عليه ، وقام أنيس بتحضير الشاي الثقيل ، وصرخ سليمان
مطالباً الحفاظ على النظام ، ثم التفوا حولي : – هيا . حدثنا .
وماذا أقول لهم : انني تعب . لقد سافرت ليلا وسأنام .
لكن هل يترك الرفاق أحدا ينام ؟

– لن تهرب . كلمنا عن الحب والساحل والبحر والمشاورير .
حدثنا عن كل شيء .

قلت لهم : – لقد تركت البحر ، وتركت قلبي وعقلي
وأحلامي . تركت كل شيء . لم أحضر معي سوى جسدي .

كرهت الاجازات القصيرة ، وفكرت بالحصول على اجازة
طويلة ، لكنني فوجئت بتوتر الاحوال ، وان الاجازات ممنوعة ،

لذا قد أتأخر حتى نهاية الشهر . لن أحدد اليوم لانني لا استطيع .

المهم : انني وصلت معقدا . حزينا . غاضبا ، قلبي شعلة نار واول ما فعلت هو انني فتحت رسائلك وقرأتها . قرأتها أكثر من مرة وكنت في كل مرة اكتشف في كلماتك شيئا جديدا وعاطفة مستمرة سيالة ، ثم اضحك من نفسي لانني كنت اسخر من الذين يقرأون الرسائل اكثر من مرة . كنت اقول : « مرة واحدة تكفي » . أما الآن فلقد تنازلت عن هذا الرأي ، وقرأت رسائلك عشرات المرات ، لذا اصرخ فيك مطالبا اياك بمزيد من الرسائل . أريد سيلا من الرسائل . لا تكوني بخيلة علي بقطرات من كلماتك الصافية الحلوة . انني احس بمعنى الحياة عندما أقرأ رسائلك ، فزوديني بماء الحياة ، فرسائلك عدلت من تشاؤمي الشديد بحضوري الي الثكنة ، وأعدت الي طبيعتي المرححة بسرعة ، وصرت أكثر نشاطا واندفاعا للعمل الغزير ، وكم افرح لكلمة ثناء يلقيها في اذني رئيسي بلطف :

– الله يعطيك العافية . – الله يسلم يدك .

وأعمل بجد بينما عيناك امامي .

ملاحظة : اعتذري عني لصديقتيك اللتين ودعتك معهما في المحطة . قولي لهما : انه يضحك ويمزح لطبيعته المرححة ولرغبته في رفع الكلفة وليس من قبيل الجنون .

١٩٧٣/٩/١

نهودتي : – هنا في الثكنة فتاة تعيش معي بشكل مستمر وشعوري نحوها غير واضح . فهل لك ان تخبريني ان كنت أحبها أم لا ؟ ولكي تجيبي على سؤالي سأقول لك ما يحدث :

— عندما اتناول طعامي تكون قبالي ، وتأكل معي .
تبتسم لي بهدوء ساحق . عندما اسافر ناسفرا معا . انها
متعلقة بي كخيالي ، وهي سمراء . شعرها اسود فاحم ،
لكنها لا تتكلم كثيرا . ان كلماتها تتردد من اعماقي . من
الماضي . قالت : انها تحبني . جميلة هي : عندما تتكلم
وعندما تغضب وعندما تحب . عندما أقرأ أراها في الكتاب .
عندما أعمل في المدفع أراها في كل العناصر . اتخيل ان الفوهة
صارت هي . ان الطلقة صارت هي ، وعندما تكلم مع اصداقائي ،
تكون جالسة بيننا ، تنظر الي بشغف ، وهي تحضر الدروس
التي اعطيها للعناصر ، والدروس التي اعطيها للاميين ،
والتدريبات التي أتدربها . انها تجلس في غرفتي في الثكنة ،
وأثناء لجوئي الى الفراش ، تقف عند رأسي ، ثم انام ، فتنزلق
الى احلامي .

هل احب هذه الفتاة يا ناهد ؟ وهل عرفتها ؟ ارجوك
اخبريني ما اسمها ؟ وماذا افعل ؟ رسالتي محملة بالسلامات .
اعتذر على قصرها ، مع العلم ان هناك اشياء كثيرة أود قولها
لك ، لكن : الوقت . . .

١٩٧٣/١٠/٢

« — كلمات قالتها ناهد — » .

كنت احبه ، ولقاءاتنا كانت معدودة ، فهو لم يحضر سوى
ثلاث مرات بعد بدء علاقتنا . الاولى كانت طويلة « عشرة
ايام » والثانية كانت قصيرة « ثلاثة ايام » اما الثالثة لم أراه
خلالها اكثر من سويعات ، لكن رسائله غزيرة جدا . هه ؟
لم تروا سوى خمسة رسائل ؟ لعله لم يحتفظ بالبقية .
جميلة هي رسائله . كان يبدو متفائلا في اكثرها ، حدثني عن
رفاقه كثيرا ، حتى بت اعرف كل واحد من تصرفاته ، دون

ذكر اسمه ، وهم يعرفونني ؟ جائزان يكون قد حدثهم عني .
طبعاً لا زلت أحبه ، حتى أنني بعد سماعي انبأ استشهاده
قررت ان لا اكون زوجة ابدا ، لكنه في رسالته الاخيرة ، كان
قد كتب لي : اذا حدث واستشهدت فإياك أن تفعل كبطلات
الروايات . انصحك بالزواج وليكن شريكك مقاتلاً ، فهم أقوياء ،
ويدافعون عن انفسهم . . فاعتبرت رسالته وصية .

من اخبرني باستشهاده ؟ انهم أحمد وسليمان وأنيس
في رسالة مشتركة ، وصفوا لي بطولته ، وقالوا ان اسمه رفع
ليحصل على وسام .

علاقتنا كانت سرية اثناء حياته ، لكن اهلي وأهله عرفوا
بعدها بالامر ، وقد ساعدوني لابقى مطمئنة ، والدته ؟ انها
تحبني جدا وتزورني دائماً .

١٩٧٤

الجسد

في الاغيار هو المقتول

- (لم يبق لدي ذخيرة . يجب ان اتصرف بسرعة ، لانه انتبه الى وجودي . الخنجر . نعم الخنجر والانقضاض السريع نحوه . انهم جناء لا يستطيعون الالتحام جسدا بجسد . هذه هي عادتهم : الهرب من الالتحام) .

(لولا حظي العظيم لكنت أتخبط الآن بدمائي . آه . يا الهي ، انه يركض باتجاهي . أين المسدس ؟) كان سليمان مندفاعا بقوة نحوه ، ويده تقبض على الخنجر محاولا غرسه في الجسد المرتبك تحرك الآخر بخفة نحو اليمين ، فخابت الضربة ، لكنه استطاع الامساك به محاولا ايقاعه ارضا .

(انه متين البنية ، رشيق الحركة ، ساعده مفتول ، على كل استطعت منعه من استعمال مسدسه . يجب ان اطرحه ارضا) .

(انه يهاجمني بقوة هائلة . ساعده كصخرتين . يجب الابتعاد عنه قليلا ليتسنى لي استعمال المسدس ، لكن الصعوبة تكمن في التملص من يدي هذا الدب) .

تناثر الثلج تحت الاحذية الثقيلة فظهرت الارض طينية زلقة ، وبدا الجسدان قطعة واحدة تتمايل يمنة ويسرة .

(عندما يصبح تحت قدمي ، يصير انتزاع المسدس منه سهلا . يجب منعه من الافلات ، حتى لا يستعمل مسدسه) .

(كان الحاخام على حق عندما قال : الجيد في الاغيار هو المقتول . وحتى يصير هذا جيدا ، يجب أن تمرق رصاصاتي من دماغه) .

التفت قدم سليمان حول ساقي الآخر ، ثم دفعه من صدره . اختل توازنه ، ولم يستطع تحريك قدميه لمنع نفسه من السقوط . ارتمى مستلقيا . انحنى سليمان فوقه ممسكا الخنجر بيده المرفوعة .

(سقط اخيرا) .

— استسلم .

بغت تماما . لم يعد يقوى على الحركة ، انه يخاف الخنجر الذي يهدد صدره المباح . ماذا اصابه ؟ عيناه كتلتان من الدهشة ، وقسماته ؟ خوف كامل . ما باله لا يستسلم ؟

— استسلم .

سأطعنه ان تحرك . لا . سيفور الدم ، ينبجس براكين

ملتهبة . يا الهي . هذه العيون . كان والدي ليلتها يستلقي
ارضا على وجهه العلامات نفسها . في عييه التعبير ذاتها .
فوق صدره فوهات البنادق ، وأنا كتلة صغيرة بين يدي
والدتي المرتجفة . شدت رأسي الى صدرها . دوت رشقة .
اختلست نظرة . كان والدي مستلقيا وفي صدره ثقب تنز
منها الدماء . اقترب جندي منها . مزق فستانها عند
الصدر . ابتسم وقال :

— لم تخلق تلك الاثداء للرضاعة .

ثم (...) .

(آه . لقد منحني لحظات للتنفس . الحرارة لا تطاق ،
على ما يبدو انه هو الذي سيشرّب دمائي . لن يحدث كما
قال كافكا « سنشرّب دماءهم ، حينذاك ينتهي الصراع » .
سينتهي الصراع بالصورة المعكوسة ، وهذه القشعريرة تمنعني
من التصرف . سوف استسلم . ما باله شاردا ؟ ويداه
ما زالت مرفوعة مستعدة لجرّاة صدري . . المسدس ؟ انه
لا يبعد عشرة سنتمترات عن اصابعي . سأمسك به) .

انفلت من تحته ، هب واقفا وأصابعه فوق المسدس ،
لكن بحركة رشيقة كانت يد سليمان في خاصرته ، والخنجر
يمزق اللحم فتندفق الدماء .

آخ ...

(لقد أنذرتة أكثر من مرة ليستسلم . كان يبدو خائفا .
لم اكن اود قتله ، لولم يحاول قتلي) .

(.....)

١٩٧٥

ايقاعان

« ١ »

— انسلت خيوط الليل من الخنادق ، بدأ القمر الشمعي
بالتلاشي ، تحرك النسيم الرطب اللذيذ ، تمايلت الاعشاب
التي سرقت لون الشمس ، خشخشت الاشواك اليابسة ..
بدأ الافق الشرقي بالاحمرار ، بزغت الشمس ، عانقهما
الوجوم ، تسلس الدفء الى عروقه ، غطت ابتسامة رائعة
وجه حمدان .

— ما احلى الفجر .. انه يذكرني بقبلة والدتي الصباحية .

— حقا .. انظر .. الافق مخضب بلون زهري جميل ،
لقد تجمع دم الشهداء كله هناك .

هبطت حدة الابتسامة ثم انداحت :

— متشائم .. منذ الصباح . بدأت رائحة الموت تتسلل الى انفك .

— رائحة الاستشهاد يا حمدان . ألا ترى دم رفاقنا كيف يلون الافق ؟ تكسر الصمت .. دوت طلقات المدفعية .. توهج الخوف ، دب الرعب في القلوب ، تحرك الجميع ، الطلقات تتزايد ، فارت الارض بالبراكين ، ارتفع صوت من بين الغبار :
— الجماعة الى الملاجئ .. ليبق حمدان راصدا .

القت الشمس بثقلها فوق رأسه .. الهبت جسده ،
تصبب العرق ينابيعاً ثرة .. ثم اندلق الصمت ، استغرق الهدوء كل شيء .

عاد صديق حمدان بعينيه الصافيتين ، انبجس منهما فجأة الألم والغضب .. لقد هربت دماء حمدان الى الافق ..

« ٢ »

— (أحلى سلال الازهار بأرخص الاسعار) .. الورد منتشرة والمياه تبللها ، أزهار ملونة خضراء ، صفراء ، بيضاء ، حمراء ، سيل من الالوان المجنونة المتراقصة .. رائحة النسيم تتسرب الى القلب ، تداعبه فتزهه .. المياه تسيل فوق الزجاج ، تتموج بديعة تطرب العيون ، تحرك الرغائب .

اقترب رجل مشوه الملامح ، استقبله البائع باشا :

— أهلا .. أتأمر بشيء .. أزهار للحبيبة للخطيبة للزوجة . لحفل . لصديق . بينما ابتسامة خبيثة تشي بما يجول بخاطرهم (من سيعشق هذا الوجه الشيطاني ؟) .

تكلم الرجل المشوه الملامح بصوت جهوري حزين يتدفق
ألمًا :

— أريد اكليلا .

— اكليل ؟ لحسن حظك لدي الاخير .

— لماذا لا تصنعون منها الكثير ؟ ستغدو تجارتها رائجة
جدا ..

صدم أذنيه صوت طفولي بريء :

— لماذا لا تدفنون احباءكم بلا اكليل ؟

ابتسم الرجل المشوه الملامح ، فتجعد وجهه بتقزز .
اختفت عيناه خلف وجنتيه المتورمتين . خرج مطرقا ، وفي
خاطره صورة لنا بالم تنفجر . وصرخة مدوية تجلجل ..
كومة من الاكليل السوداء بدأت بالتلاشي واحدا وراء الآخر :

— حقا .. لماذا لا ندفن انفسنا بلا اكليل ؟ ...

١٩٧٢

قدم ناعمة

موسيقا المذياع تسكن الغرفة ، تلوت أمامه كأفعى ،
سقط فوق الجسد الاحمر بلون الخوخ . اغرقهما العرق ..
فاحت رائحة الغرفة برائحة الجنس . انقض فوق شفتيها
المكتنزتين ، احتضنها بقوة ، امتص خلايا جسدها النابضة
بالفرح عبثت يداه بشعرها الحريري ، انزلقتا فوق لحم
الكتف .. سارتا في مسيل الظهر توقفتا عند الردفين ..
- آه ..

نظرات فاترة ، الارتخاء يعربد في جسديهما العاريين ،
شفتهما وردتان جوريتان .. تقلصت عضلاته .. جذبها
نحوه بقوة :
- آخ ...

كتم صوتها بقبلة طويلة ، توقفت الموسيقى المناسبة
الناعمة المتموجة .

« قام العدو بهجوم مدفعي » ...

تحركت قدم ناعمة ، امتدت ، تشنجت ، انتفضت ،
أصابت المذراع ، وقع .. صمت .. صمت ..

١٩٧٢

الراحة

السريير . الحرير والنعومة . الصلابة والقسوة .
الهجوم . الدبابات المعدنية والارتفاعات الشاهقة . الجبل
شديد الانحدار . الارض قاسية . المعدن قاس والثلج البارد
قاس . عواصف . انفجارات . قنابل . ازيز . راحة .
السريير الناعم امامه . الحرير . النظافة . الشراشف بيضاء
الثلج ابيض . النوم . النار .

- آه ..

سيستلقي على السريير . البرودة . القصف . الهجوم .
انسحاب . اختراق . تعب . تراكم التعب . تراكم التعب ..

- كثرة الشيء تحوله الى عكسه .

التعب راحة . ركض صاعدا . صديقه الى جانبه .
الانتصار . التسلق . طلقة :

- آخ .

- ماذا ؟

- ساقى .

الساق ثقيلة . تعيق الحركة . لا يستطيع التقدم .

- ابق هنا .

- لا .. سأصل مثلكم .

- استند الي .

استند عليه . عرج على قدم واحدة . قفز . تعب .
خدر شديد . نمل كثير يزحف الى رجله . مغارة طلاقات .
وهج . نار . انبطح . زحف :

- تعال هنا .

مغارة . الحرية . الدفاء . الركض . الجلوس .
الجلوس . الجلو . ألم البرد والماء :

- آخ .

- انتزعت الرصاصة .

السريير . الحرير . رمى بنفسه فوق الاغطية . مادت
الارض . تحرك السريير . دار بسرعة ، هو تحت السريير .
فوق . ف . ت . السريير يدور . الارض تدور . المخدة
خشنة مديبة . الفراش لين ، صعب التعامل معه . التراب
ناعم ، بارد لكنه ناعم :

- اجازتي قصيرة .

- حبيبي .

القدم ثقيلة . ما زالت ثقيلة : - سأقتطعها .

- لا . سليمة .

ركض . طرد النمل . سليمة . دبابة . انفجار . لهب .
السيرير يتحرك . الارض تدور . قمة الجبل فوق . قمة
الجبل يسارا . تحت . الى اليمين . صعد . انحدر .
القمة ، هاهي . العلم ، رفرف العلم .

- احداهن ماتت لانها اكلت وجبة شهية بعد أيام من
الجوع .

- سأموت من الراحة .

ترك السيرير . نزل الى الارض . الارض باردة .

- اقتربي . تعالي .

- على الارض ؟

- الى الحديقة .

الحديقة . التراب قاس . أحجار قاسية . الحب .
الجوع .

- اخلي .

ثيابها . ملابسها . انفرز التراب في اللحم . تألمت هي .
تأوه هو . شدها اليه :

- اجازتي ... قصيرة ...

١٩٧٣

الولادة

- احضر حالا .
- قدمائها ، صدرها ، لونها . عيناها .. الطفل . اصفرار .
شحوب . موت .
- سيدي .. أريد اجازة .
- لكن .
- قد تموت .
- المدينة . السيارة . السلحفاة .. القرية . انضغطت
الصور . ابتعدت . اقتربت . استطالت .
- (احضر حالا .. زوجتك) .

– هل ستتركني ؟

– انتهت اجازتي .

قبلة . ابتسامة . قبلة ، ابتسامة . قبلة . الاصفرار ،
قبلة . الشحوب ، قبلة . . الموت .

– سأحضر قريبا .

– لكني مريضة .

قهقهة ، قبلة ، وجه ساخن ، شفاه حارة ، ارتخاء . بطن
منتفخ . الطفل صغيرا . الطفل يافعا . الطفل شابا . الطفل
جنديا .

– سوف يحميك هذا فيما بعد .

– وأنت ؟

– سأحضر قريبا .

القرية . . قدمها ، صدرها ، لونها . . عيناها . . الموت .
الطفل . . . الطفل جنديا .

صرخ : اخرجوا .

صرخ : اخرجوا .

ص . : اخرجوا .

الطفل صغيرا . . الطفل يافعا . . الطفل شابا . . الطفل .

– سيكون جميلا مثلي ، قويا مثله .

المخاض . التعرق ، طلقة اثر طلقة ، عرق . . برودة .

– انه عنيد مثله .

- لا تتكلمي .
- (احضر حالا .. زوجتك في خطر) .
- صرخ : لا .. ما هو ؟ أين هو ؟ ..
- انه حي ، صحته جيدة .
- صحته قضت عليها ..
- الدوار ،
- انضغطت الصور ،
- ابتعدت ،
- اقتربت ، استطالت .
- جميل مثلها .

١٩٧٦

ثلج . . . ورمال

الارض : ثلج .

السماء : ثلج .

ما بين الارض والسماء : ثلج ، والخندق : افعى سوداء
مرقطة ، تتلوى فوق بساط قطني .

والثلج يتساقط ، وينتشر مع الهواء العاصف .

فجأة ، قذفته بكتلة ثلجية ، حاد عن طريقها بمهارة بينما
كانت يدها تصنعان كتلة كبيرة ، صوبها اليها ، ثم انطلقت
الكتلة ، وكانت الاصابة محققة ، فوق نهدها . ارتج النهد ،
وغزت جسدها نشوة عارمة .

— المهر غال يا عبلة ، ومكان النوق بعيد .

لكن عنتره لا يهاب المصاعب فاخترق بكاره الصحراء ،
تاركا عبلة تنتظر .

— ذلك التل يضايقني . ان رماياته باتجاهنا غزيرة ،
ومنعته حصينة .

— سنحرره هو الآخر .

وقعا في الحصار ، وانهمرت عليهما كتل ثلجية من كل
الجهات : من النوافذ والاسطحة والشرفات . كان عليهما
أن يختبأ ، لكنه ركض نحوها وضمها الى صدره ليحميها
من الضربات المتتالية (١) ، بينما الضحكات البريئة الصافية
تملأ المكان :

— كم قبلة يدوية لديك ؟ .

— اثنتان .

— هاتهما .

— لكن لماذا ؟ .

— هاتهما وسترى . لن استطيع النوم وذلك الرشاش
يصوب طلقاته نحوي .

كان العالم رمادي اللون ، ولارمال تلطم الوجه الاسمر .
تعثر الجواد فسقط عنتره فوق الرمال . لم تكن صلبة كما
عهدها . كانت تتحرك وتنزاح من تحته ، ففاص فيها ،
وصارت كل حركة منه للتخلص تزيده غرقا ، وتلون العالم
بالوان باهتة . اختفى نصفه الاسفل . وصلت الرمال الى
ما فوق الصدر طارت القبعة عن رأسه وتدحرجت . كانت

(١) هذه هي العادة عندما يحب احدنا .

الرؤية ضبابية ، وأحس كأن مئات الأبر تنغرز في عينيه .
قفز برشاقة فوق الثلوج ، ثم تدحرج وهب واقفا ، ليحتمي
وراء صخرة هائلة ، بينما كانت طلقات الرشاش تمزق الثوب
القطني فتظهر التربة الحمراء كأنها بقع من الدماء . كانت
نظرات الرفاق في الخندق تلاحقه ، والقلوب تخفق بشدة .
ثلاث رفاق سقطوا قبل الوصول :

– هل ستتركني وحيدة ؟ .

– وحيدة ؟ . وكيف ؟ . انت معي في كل مكان . على
جدار الخندق . فوق صفحة الصخور التي احتمي وراءها ،
ملتصقة على اخمص البندقية . ان قدرتي على ضمك الى
صدري دائمة .

١ – الحرب مخيفة .

٢ – كانت الحرب مخيفة .

٣ – سقطنا في الرمال المتحركة مرات ، لكننا خرجنا .

٤ – لم تعد الحرب مخيفة .

وراء الصخرة ، قبلها بعمق . شعر بشيء في داخله يتسع
ورأى عصفورا ينطلق في الاجواء . ابتسم . رمى نفسه على
الارض متدحرجا باتجاه الصخور التالية ، حيث وجه
حبيته . ومليء الجو بنثرات الثلج المتطاير .

عنتره ينطلق على حصانه ، بينما الفرحة تملأ وجهه
ذا السمرة الداكنة ، وصرخة في اعماقه تدوي :

– جئتك بالمهر يا عبلة (٢) .

(٢) لا يخفى على أحد ان عنتره نجا من الرمال .

شب الجواد وارتفعت قائمتاه الاماميتان .

رمى بالقنبلة الاولى من خلال الفتحة الصغيرة للمنعة ،
ثم جرى نحو الباب المغلق . كانت العيون المتلهفة تنتظر
الاشارة ، لحظتها دوى الانفجار هائل ، ارتفعت الاحجار
امتارا . قفز الرجال بخفة الغزلان وقوة الاسود ، بينما كانت
بقعة حمراء قانية ، تتسع فوق الثلوج البيضاء الناصعة .

١٩٧٤

نوح

فلم قصير جدا ، لا قيمة للازمة والامكنة فيه ، أبيض
واسود .

لقطة ضيقة لمسار يدق في لوح خشبي ، ترتفع الكاميرا
قليلا ، فتبدو عدة الواح متجانبة متراصة ، و صفوفها متوازية
من المسامير الكبيرة ، تثبت الاخشاب الى بعضها موحية
بالمتانة والقوة .

تتحرك الكاميرا افقيا نحو وجه الرجل ، فيبدو منهمكا في
عمله ، ووجهه ينضح عرقا .

صوت خارجي : - لقد جن نوح .

يلتفت نوح باتجاه الكاميرا بسرعة ، يحدق بها لحظة ثم

يعود للعمل من جديد / قطع لقطه للبحر في قمة هيجانه
ومحاولته التغلب على حجمه / قطع

فتانان عاريتان تتبادلان الغزل في فراش واحد

صوت خارجي : - ما هذا ؟ .

تنتفض احدهما ، تقترب الكاميرا من وجهها ، عيناها
حادتان ، نظراتها جريئة ، ثابتة ، كلماتها واضحة اللفظ :

- منذ مئات السنين فعلتها سافو ، فلم العجب ؟ .

/ قطع

نوح وسفينته التي بدأت تكتمل / دمج .

طائرات فانطوم تقصف . يرافق المشهد صوت خارجي :

- اننا نقدم الهدايا للاطفال في عيد الميلاد .

حلقة انسانية يتوسطها شخص يقف بثقة ، يبدو وكأنه
يلقي كلمة هادئة ، شفاته تتحركان بلا صوت . (في الفترات
التي ينعدم فيها الكلام ، تبث اصوات امواج البحر المتكررة) .
يقول الرجل :

- معبودكم تحت قدمي ..

تعلو ضجة (شفاتا الرجل تتحركان بلا صوت) . همس
متواصل ، لفظ ، اصوات :

- ملحد . مجنون . ارجموه . اشنقوه . متفرجون .
كلنا كذلك .

صوت منفرد :

- جن محي الدين بن عربي .

تنزل الكاميرا نحو قدمي محي الدين / قطع .

لقطة لاربع ايد ، اثنتان تفرزان اوراقا مالية بغية تسليمها
للذين الآخرين اللتين ترتجفان متلهفتين .

ترتفع الكاميرا نحو وجه المستلم : عيناه واسعتان
دهشتان ، فكه الاسفل مرتخ ، وهو يلهث ككلب عطشان :

— ش . ش . شكرا .

الكاميرا تتحرك افقيا ، فيبدو خلف الرجل الاول ، رتل
طويل من الاشخاص . تتابع الكاميرا الرتل بقصد الوصول
الى نهايته ، دون جدوى / **دمج**

الرجل الاول نفسه في غرفة وثيرة مع امرأة نصف عارية .
يعطيها بعض النقود ، ويسقط فوق جسدها / **قطع**

عدة اطفال ، ذوي بطون كبيرة متدللية ، منتفخة ، واجساد
بارزة العظام . عيونهم آبار مستديرة عكرة / **دمج**

البحر في محاولته المستمرة للتقدم / **دمج** .

نوح يقف امام سفينته الضخمة شبه المكتملة . يقول :

— كل شيء مهدد بالفرق .

صوت خارجي : — جن نوح .

اصوات اطفال : — نوح مجنون . نوح مجنون .

اعادة عرض مشهد وجه الفتاة ذات النظرات الجريئة

/ دمج .

وجه الرجل الذي استلم النقود / **قطع**

صورة محي الدين بن عربي . شفاته تتحركان واصوات

الامواج تعلو / **دمج**

لقطة للبحر وقد افلح في التقدم نحو المنازل / قطع .

لقطات متتالية سريعة حسب الترتيب التالي :

١ - الفئتان تنتفضان مذعورتين .

٢ - نوح يبتسم ابتسامة خفيفة ثم تتحول الابتسامة
سريعا الى حزن شديد .

٣ - المرأة تملص من احضان الرجل محاولة الهرب .

٤ - الحلقة حول محي الدين تشتت ، تنهال عليه
الحجارة ، يتوقف الرجم فجأة ، يتطلع اليهم محي الدين
مستغربا ، فيراهم وهم يتوزعون هاربين .

٥ - امطار غزيرة البحر هائج . الاشجار تقتلع ، خوف ،
ذعر ، امواج .. امواج . / دمج .

لقطة ملونة للبحر في هدوئه (عزف منفرد على الناي)
(تبقى الصور ملونة حتى النهاية) .

زرقة البحر صافية والسماء خالية من الغيوم ، تبدو
سفينة نوح طافية فوق السطح .

تدور الكاميرا في محاولة للوقوف على اثر لليابسة ، فيبقى
اللون الازرق ، تستقر اخيرا على السفينة .

تظهر كلمتا (بداية . نهاية) تختفي احدهما . ثم
تختفي الاخرى ، لتعود الاولى الى الظهور ثانية تتناوب
الكلمتان الظهور على الشاشة بسرعة غريبة ، تخفت الاضاءة
والكلمتان ما زالتا تتناوبان الظهور ، تظلم الشاشة ببطء حتى
تتعدم الاضاءة . تلتصق الشاشة فجأة فتبدو بيضاء مبهرة ،
ويتوقف العرض .

التجاوز

علت المهمة في البداية ، ثم انقلبت الى صراخ حماسي ، فتصفيق مدو بينما سائقنا يزيد سرعة الباص ويتخذ من منتصف الطريق مسارا له . بدت السيارة الاولى في نهاية الطريق كانت تلتزم اليمين ، وحركتها بطيئة . . انطلقنا بجنون ، وسائقنا يراقب بحذر ليتفادى السيارات المقبلة ، بينما يتحين الفرص المناسبة والأمنة للتجاوز وبسرعة خاطفة .

تعليقاتنا مختلفة ، لكنها تتفق بالاشادة بمقدرته ، وانتباهه وتفوقه . . حتى ان بعضنا ايد لي ببعض الآراء عن سوابق له في حلبات السباق ، وبديهته الحاضرة ، ونبوغه حتى في الحديث عن امور شتى .

عندما اقتربنا من الباص الآخر ، انحرفنا نحو اليسار ،
فإيسار فاقصى اليسار من الطريق العريض . لدرجة اننا
شعرنا بمسير العجلات فوق التراب :

- رائع

- لن يشعروا الا ونحن امامهم

- انظر الى وجوههم ، ان قلوبهم تتحمس للقضاء على
سائقهم .

- جنباء .

- لا تنسى ان حمايته رهيبة

- يقال ان حول سائقهم مجموعة من الاقوياء

- انهم مندسون بين الركاب انفسهم

- كل منهم يخاف الآخر

- جيد .. يا شباب تصفيق لسائقنا الشجاع

سارت السيارتان بمحاذاة بعضهما قليلا ، كنا نبرز عنهم
بسرعة . حاول الآخران يميل قليلا نحونا ، وكادت كارثة
تقع ، امتفعت الوجوه ، لكن سائقنا تطرف الى اليسار وبتنا
نخشى السقوط اما السرعة الرهيبة ساعدتنا على التخلص
من الاصطدام . في اللحظة المناسبة ، خلال ذلك لم نسمع
سوى صوت المحرك ، حتى اكثرنا حماسا عقلت السنتهم ،
والتصقوا بمقاعدهم ، ولما نجونا علت المهمة في البداية
ثم انقلبت الى صراخ حماسي فتصفيق مدو

لم ننتبه الى تناقص انطلاقنا فلقد انصب اهتمامنا على
البحث عن الكلمات المناسبة للاشادة بسائقنا القادر . . الشجاع
.. ال .. ال .

بعد دقائق قال احدنا . لكن سرعتنا تتباطأ ...

وهمس آخر : اننا ننحرف الى اليمين ..

صرح ثالث موجهها حديثه للسائق : - هل عدلت عن فكرة تجاوز بقية السيارات ؟ .

انداحت ابتسامة السائق ، وتحولت الى وجوم غاضب وتنبهنا الى صوت احدنا .

- السرعة المعتدلة آمنة

اجاب آخر بنبرة لم نعتد عليها

- واتباع قوانين السير يجنبنا الحوادث المؤسفة

صرخ صوت من الصف الاخير محتجا

- هذا لا يجوز . لا نستطيع تحمل الآخرين وهم يرمقوننا بنفس النظرات التي رميناها بها

- اهدأ

- لكنني لن اسكت ، الا ترى انه يكاد يقف ؟ .

وقف عدة رجال من امكنة مختلفة ، واتجهوا نحوه ، احاطوا به تحول صوته الممتد الى حروف مبتورة انفتح الباب الخلفي تكوروا حوله ، وبعد صرخة ممطوطة كأنها تسقط في قاع بئر يتدرج في العمق حل صمت قاس .. عاد الرجال الى امكنتهم .. لم يتحرك احد او يتكلم ... ولمحت الباص الاول يقترب منا ، ولم استطع التفاوضي عن الحركة الشديدة بداخله ..

ت . . ك تك تك

« ١ »

نباح وعواء . . عواء ممطوط يتسلق اعماقي . . ينهشني
بوحشية ، يتطاول حادا ثاقبا اذني ، يزحف من الاسفل
باتجاه الجمجمة ، واشراب برأسي في محاولة مني للابتعاد
به عن العواء والنباح ودقات الساعة المستمرة .

تقع عيناى على هوائي التلفزيون في اعلى بناء من مدينتنا .
ويتقطع العواء . ان الوقوف فوق الهوائي افضل مكان
للتخلص من تلك الاصوات الهمجية التي تسحقني .

« ٢ »

نباح كلاب . . و . . تك تك تك .

دقات الساعة اللعينة .

والوجوه ذاتها ، العيون الذئبية ، والاعضاء النحيلة الهشة
الكثيفة التي تتحرك عبثا .

وهذا الوجه الذي يفري بالتمزيق ، وتلك الشهوة التي
تغمر ذلك الصدر الرجراج ، والعيون التي كم تمنيت
فقاها .. لكم اود امساكهم جميعا وطرحهم ارضا ثم الوقوف
امام الرؤوس المرمية .

واضحك . اضحك حتى الموت ، اضحك على منظرهم
الذي يشبه كتلة من النمل ، كتلة متراسة ، تهتز بقرف ،
تتفرق وتتجمع بلا مبالاة ، وضحكتي تقتل النباح ، والعواء ،
وصوت الساعة اللعين تك تك تك ..

« ٣ »

المئذنة والهلال وانا واقف فوق ، في اعلى الهلال .
النباح والعواء والاصوات ، كلها تحت ، لن تطالني .
فأنا فوق ، ومن هناك انظر الى الاسفل ، الى المدينة
التي استحالت مربعات ومستطيلات متقاطعة منشورة بلا انتظام ،
تتزاخم وتتباعد ، ترتفع وتنخفض ، بينما تتشعب الطرق
مشكلة شجرة ضخمة ملتفة الاغصان وقد يكون منظرها اقرب
الى صورة افاع ملتحمة تتناحر على صيد ثمين ، والناس ؟ ..
الناس كتل من النمل الزاحف .

« ٤ »

نشوان

وخدر لطيف يفمرني كلما جحظت عينها ، مستسلمة
هلعنة ونصل الخنجر يلتمع في يدي .

نشوان ، وهي مستلقية تحت قدمي في الشارع ،
والظلمة تلف المدينة ، والخدر اللطيف يغمرني .

انا فوقها ، والانكسار والهلع يعربدان في جسدها .

النصل بين الثديين والثوب ينزاح عن الفخذين ، تحركت
في داخلي الاصوات التي كانت قد هدأت نباح .. عواء ..
تك تك تك .

تقلص جوفي ، انغرز النصل في اللحم الطري وانبثقت
الدماء ، انطلقت صيحتها .. اطبقت بفمي على شفثيها ،
واندلقت الاصوات ، تك تك تك ، عوعو تك تك .. اوووو ..
كلاب .. ذئاب ، والزمن يمر ، بينما بركة صغيرة من الدماء
ترتفع ، تك تك تك ، شعرت بالدماء لزجة ، كنت مثبتا ،
تك تك تك ، كأني في مستنقع تنبعث منه رائحة كريهة ،
تك تك تك ، في مرحاض ، في ثقب المراض حيث النتن .

« ٥ »

تصوروا ...

انا فوق هوائي التلفزيون ، او لنفترض انني كنت على
الهلال في اعلى المئذنة .

وتصوروا ..

انني شعرت بالروائح الكريهة ، ثم ... وفي لحظة ما ..
لحظة متناهية في الصغر . هبت عاصفة هوجاء ، فلم
استطع الاحتفاظ بتوازني ، عندها ... سقطت ، واصمت
اذني ... تك تك تك .. عوعو .. تك .. اوووو ..

١٩٧٣

البداء

(لا اعرف منذ متى بدأ ذلك) لوحة معدنية صفراء :

(الدكتور .. امراض نفسية)

صعد الدرج

(الطابق الثالث)

استند الى الجدار قليلا ، ثم تابع ال ...

(لعل الامر ، منذ ان قالت ابنتي تلك الكلمات ..)

تذكر فجأة :

(ان كلماتها نبهتني الى حقيقة المرض فقط) .

الطابق الاول

(صرخت ابنتي بأخيها : لا تنزل الى الشوارع انها مليئة
كلها بالكلاب) منذ زمن لا يستطيع تحديده ، وهذه الصور
تعاوده . كل الشوارع تفص فجأة :

(قطط ، فئران ، ثعالب ، كلاب .. قطط وفئران تتمازح
وتتضحك؟!)

وراء مقاود السيارات

(خنازير)

في المحلات

(ثعالب)

في الشوارع

(فئران ، كلاب .. افاع)

حلم بشخص لا يتغير شكله

الطابق الثاني

(لماذا مسرحية - نهر الجنون - .. الآن ؟ .)

يده على مقبض الباب ، يدخل ساهما

(كانت النوبة تأتيني بشكل متباعد)

غرفة الانتظار مليئة بالمرضى

(ثم صارت تتقارب من بعضها)

لم يلتفت احد اليه

(اخاف من ان تصبح مستمرة)

اقتعد كرسيًا في إحدى الزوايا ، راقب الوجوه مليًا

(لماذا تلح علي مسرحية « نهر الجنون » ؟)

صديقه البارحة كان يعاتبه على شروده .. وفجأة :

(صار ... أفعى)

صرخ بوجهه :

(افعى)

احلم برجل لا يتغير أبدا ...

(لكن .. أين ؟)

تلفع المكان بالضباب

(انها بوادر النوبة)

تلوت بعض الاجسام امامه ، وتقلصت أخرى

(نهر الجنون)

- دكتور .. بشكل متباعد .. مستمر .. تعال ..

قطط

ابتسم الطبيب

- تمهل .. تمهل

(لماذا يبتسم ؟)

- ارجع بعد غد

(انه حرياء)

مد الطبيب يده مصافحاً .

(اليس هناك من لا يتحول ؟ . أنا . . لم الحظ على
نفسي إنني تغيرت . . نهر الجنون) .

- اتفقنا

مد يده ليودع الطبيب ، شعر بخدر في كفه ، انتبه الى
اصابعه كانت افعى سوداء تحيط بها وتعتصرها .

(يد الطبيب)

رفع رأسه متسائلا ، وجد الطبيب يقهقه بصوت عال

- يجب ان افقأ عينيك . . انهما خطرتان

(بدأ السم يزحف في جسدي)

- مت . . انه الحل الافضل

وامتلأت الشوارع فجأة ب . . وشاهد رجلا يسير شامخ
الرأس . قفز فرحا ، وركض اليه يصافحه بحرارة ، لكن
الاخر قابله بعبوس ، اما هو فكان يتمتم :

(انه هو . . . هو)

١٩٧٤

السرطان

« ١ »

من المنطقة فوق السرة انبعث الالم ، ثم انتشر بسرعة في جسدي ، ونبحت بعد انين طويل . نبحت بوحشية وقسوة ، فاسكتني الجيران ، ولم اشف .

« ٢ »

(يسمح للمدعو عصام بدر باصدار الاصوات التي يريدتها ، متى شاء)

وبدأت اعوى . كان العواء ممطوطا مبجوحا حزينا ، ولما اعترض الجيران ابرزت الرخصة ولم اصمت ، كما لم اشف .

عن فوائد النباح والعواء ، وعن افضل طرق التصويت
هذه ، كنت اكتب في زاويتي الخاصة من الجريدة اليومية ،
وحتى في برنامجي الاذاعي نبحت وعويت .

* * *

كيف تحولت الى الغناء ؟ . لا ادري . قالوا : صوتك
قبيح . - لا تجيد الغناء - لا تستطيع متابعة الموسيقى .
لكنني غنيت ، غير ان الالم استمر بالانتشار ، واحسست
بخدر في ساقي .

* * *

نصحتني الطبيب بالمشي طويلا ، والرقص كثيرا ، وقال :
- تحرك . لن يفيدك شيء الا الحركة . اغتبط جيرانني لما علموا
بذلك ..

« ٣ »

بدأت ارقص ...

« ٤ »

صرنا نرقص

« ١٩٧٤ »

الصمت

اضحى السير ، او رؤية ما حولي ، شبه مستحيل ،
فالظلام يملأ العيون . . والمدينة غارقة في العتمة .
- تمنع الانارة .

وبجراحة شاب في بداية الحياة ، اضاءت المصباح ، وجلست
الى الطاولة لاقرا ف « العلم نور » .

فجأة تحلق حولي عدة رجال بلا ملامح ، اطفأوا المصباح،
وصاحوا بصوت جهوري له طابع رجولي مختلط بنبرة انشوية
حاددة :

- الم نقل « تمنع الانارة »

- والتعلم ؟ .

- النور ممنوع

- تعودت كل العيون الظلمة .

- والنور المفاجيء يخطف الابصار .

- انك بمحاولتك هذه تضر بصحة المواطنين .

اردت الكلام ، فتهافتت عشرات الايدي لاغلاق فمي ،
واحسست ان قوة هائلة ترميني ارضا ، ثم بدأت اسيخ
نارية تلهب جسدي ، فصارت المهانة غجرية ترقص حولي ،
وتهتز فوق رأسي . اخترقني تيار حار ، وعبرتنني قشعريرة
باردة . حاولت بكل ما استطيع ان اتحرك ، فصرخ الصوت
الجماعي المفرد :

- اهدأ

اكتشفت سخف محاولتي ، فلم افعل شيئاً بالرغم من
معرفتي انهم ذهبوا ، وتركوني في الظلام .

اضحى السير ، او رؤية ما حولي ، شبه مستحيل .

حاولت اضاءة المصباح « النور ممنوع » .

اردت الكلام : « اسكت » .

تخيلت انني استطيع الحركة : « اهدأ » .

١٩٧٥

الـخـوـف

- . ولج الغرفة مقطباً ، فاتراً ، يتمم بكلمات غير مفهومة .
- . « انني مشوش التفكير » .
- . . تحرك باتجاه السرير . .
- . « النوم راحة للجسد ، وسانام للغد » .
- . سمع تكتكة ، أوحى له ان الباب قد أوصد وراءه .
- . « هل يعقل ان اسجن في غرفتي ؟ . » .
- . امتدت يده بحركة لا شعورية ، تتحسس المفتاح البارد ،
وسقط قلبه على رؤوس اصابعه .
- . « لكن المفتاح في قبضتي » .

تلمسه باصاع مرتجفة ، فتأكد من قساوته ، بينما
اصفرار وشحوب يستعمر جسده .

« اممكن ان يستبدل بآخر ؟ » .

وانتقل الى قفص حديدي ، قضبانه سوداء ، باردة ،
ملساء . قفص بلا ابواب ، وهو في الداخل يقفز من جهة
الى اخرى ، والقضبان تزداد تقارباً ، وتلاحماً ، وهو مصر على
الخروج من اي ثقب .

« ياه .. ماذا حدث لي ؟ اين انا . » .

رجع الى الباب وجذب مصراعه ، فانفتح هذا بسهولة ،
عندها تنشق الهواء البارد ، وزفر بارتياح « الشك .. انني
بحاجة لطبيب نفسي . لا .. اه . الاطباء بحاجة لاطباء ..
انني اشك حتى بالاطباء ، ونظرة رئيسي ، وكلمات عشيقتي
كلهم مخادعون .. اخاف من عقوبات محتملة من رئيسي ..
اخاف ان تهجرني حبيبتي .

اخاف .. اخ .. » .

ولج الغرفة مقطباً ، فاتراً ، يتمم بكلمات غير مفهومة .

« انني مشوش التفكير » .

تحرك ب .. .

« النوم .. »

سمع .. امتدت .. سقط قلبه .. قفص حديدي .
جذبه . زفر بارتياح . اخاف ان . اخاف ان . ولج الغرفة
مقطباً ، فاتراً ، يتمم بكلمات غير مفهومة .

« انني مشوش التفكير » .

١٩٧٥

العنكبوت

امتدت الخيوط اللزجة الى الزوايا المظلمة ، وزحف العنكبوت نحو ابعد نقطة ، منتظرا الفريسة .. فجأة ، اهتزت الخيوط ، فانتفض العنكبوت متحفزا ، حدد مكان الضحية ، ثم انطلق مسرعا باتجاهها .. كانت الذبابة تحاول باصرار الافلات ، وتقطع الشبكة اللعينة . وصل اليها ، فمد احدى ايديه الى الذبابة ، ثم بدأ يفرز مادته اللزجة ويرميها حولها ، بحركة سريعة ، متواترة ، حتى اصيبت بالاعياء ، وخمدت حركتها ، الى ان صارت جثة هامدة ، فانقض فوقها وضمها الى صدره يمتصها .. ثم ارتد الى زاويته المظلمة منتظرا ، بعد ان تركها شلوا جافا .

وماهي الا ثوان ، حتى كانت نحلة ملونة جميلة ، تحاول
باصرار الافلات .. وصل العنكبوت .. ، مد .. ايديه ..
يفرز .. ، وبحركة سريعة ، . بالاعياء ، وخمدت .. ، جثة
هامدة ، فانقض .. ، يمتصها . ثم ارتد الى زاويته
المظلمة منتظرا ، بعد ان تركها شلوا جافا . . .

١٩٧٥

طلقة الرحمة

- نار

وتهاوى بصمت

- لن تصل اليه الا ويكون قد لفظ انفاسه ، لكنه شيء طبيعي ان تطلق هذه الرصاصة الاخيرة .

انها الخاتمة ، نهاية النهاية . . بدا الجسد وسط بركة من الدماء . . اقتربت منه وجلا . يا آلهي ، لازال حيا . . عيناه تراقبانني . جاحظتان تلاحقان حركتي . كدت ارجع . كان فيهما نداء ، لم استطع تفسيره ، هل هو للاسراع ام للابقاء ، عليه قادتني قدمي بلا شعور ، قربت المسدس من صدغه ، فاختفت عن وجهه ملامح الحياة فجأة . . لم تغمض عيناه ، ولم ترفا ، لكنهما فقدتا بريقهما ، احسست ان قلبي يسقط ، وان قواي تنفذ ، فاغمضت عيني ، وضغ . . لست ادري . هل اضغط الزناد ؟ . . .

١٩٧٦

حـب

ارتقى فوق جسدها الممتليء الوردى حصانا اصيلا ، فملا
الغرفة صهيلا ، وراح كفرقة من التتار يصول على مساحة
اللحم الطازج . . . وكان العرق ينز من كل خلاياه ، ورأسه مغمور
بين نهدية الضخمين يتنشق رائحة مزيجة من العطر والعرق ،
تحول الى شفيتين جائعتين وزرع جسدها قبلا . . . رفع عينيه
الى وجهها . كانت عينها معلقين بالسقف بلا مبالاة ، واحدى
يديها ممدودة الى جانبها باسترخاء ، بينما اليد الاخرى
تتحرك على الحاجز الحديدي للسريـر تنظفه من الغبار . . .

١٩٧٥

امتحان

السؤال : - من الذي بنى الاهرامات ؟ .

الجواب : - ملايين من العمال والفلاحين ، الذين سخروا لهذا العمل .

العلامة : - صفر .

١٩٧٥

تعاريف

- قال : المال هو الخبز والماء .
- وكانت جبهته ارضا افريقية ملتهبة .
- ملحوظة : الملايين من الناس يعرفون كيف يعيش .
- قال : المال هو النساء . . المال هو المزيد من المال . . الم . . .
- وكان يستطيع الاستمرار بالشرح ساعات طويلة
- ملحوظة ثانية : قليلون هم الذين يعرفون حياته ، لكن ،
- الملايين يستطيعون تخيل معيشته .

١٩٧٥

غلاء معيشة

كان السؤال واضحا « اطنبت الصحف بما يسمى ارتفاع اسعار كافة المواد ، فما رأيك ؟ » نفت سيجاره ، واتكأ الى مقعده الوثير ، ثم قال :

— انتبه .. ان كل ما يقال في الصحف مختلق ، هؤلاء الصحفيين يكتبون من وراء الطاولات .. لماذا لا ينزلون الى الشوارع ؟ . لماذا لا يحكمون عقولهم ؟ . الم يسمعون بالنظرية النسبية ؟ . انا ، صراحة ، اجد ان الاسعار انخفضت ..

فمثلا : منذ عام تقريبا ، كان سعر كيلو التفاح مئة قرش ، وكان دخلي الشهري الف وخمسمئة ليرة ، اما الآن فالتفاح يساوي مئتي قرش ، لكن يجب ان تسأل عن دخلي ،

فهو ايضا وصل الى الخمسة آلاف .. فما رأيك . الست
محقا ؟ .

أما الآخر فقد وتر حاجبيه ، ومسح العرق عن جبهته ثم
قال :

— أولا : إنا لا اقرأ الصحف ،

ثانيا : لم اشعر بالفلاء ، فالخبز لازال على سعره منذ
ولادتي ، والبرغل اشتره من اقربائي في القرية ، ولم احس
بتغير كبير في سعره .

— واللحم ؟ والخضار ؟ والفواكه ؟ .

ابتسم ، ونفض العرق عن جبهته .

— انني اسألك : هل يهتم الهر بحقل الا اذا احتوى
على الفئران ، مهما كان هذا الحقل مخضوضا ؟ .

١٩٧٥

الفهرس

٥٨	ثلج ورمال	٥	العقم
٦٢	نوح	٩	الرقص فوق الاسطحة
٦٦	التجاوز	١٣	العرس
٦٩	تك تك	١٦	الموت
٧٢	البدء	١٩	بالمقابل
٧٦	السرطان	٢٢	الفرح والغضب
٧٨	الصمت	٢٦	اسطورة
٨٠	الخوف	٢٨	برعم
٨٢	العنكبوت	٣٢	قصة حب
٨٤	طلقة الرحمة		الجيد في الاغيار هو
٨٥	حب	٤٤	المقتول
٨٦	امتحان	٤٧	ايقاعان
٨٧	تعريف	٥٠	قدم ناعمة
٨٨	غلاء معيشة	٥٢	الراحة
		٥٥	الولادة